طروحات مستكتبة، ندوة عمارة المساجد, م ١٠ أ، ص ص ٩-١٨، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م)

تأثير المنهج الإسلامي على عمارة المساجد

يحيى وزيري
دار الفن الإسلامي للعمارة
القاهرة، جمهورية مصر العربية

ملخص البحث: تناقش هذه الورقة البحثية المفاهيم و الأحكام الشرعية الإسلامية و كيفية ترجمتها في عمارة المساجد. فبدءا بكيفية اختيار قطعة الأرض، و وصولا إلى مواصفات قاعة الصلاة، خصائص الحوائط و زخرفتها، المنبر، المئذنة و الخدمات المساعدة، يناقش الكاتب افضل الطرق لإنشاء هذه العناصر و ذلك بالرجوع إلى أحكام القرآن و السنة و آراء فقهاء المسلمين، و ذلك بهدف التمكن من بناء المساجد على افضل وجه ممكن.

المقدمة

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال﴾. [١، سورة النور- آية ٣٦]

المساجد هي بيوت الله في الأرض والمسجد في صورته البسيطة ما هو إلا مساحة من الأرض صغيرة أو كبيرة، تنظف وتسوى وتطهر ثم يعين فيها اتجاه القبلة وتخصص للصلاة، وقد تسور هذه المساحات أو لا تسوَّر، وقد تفرش بالحصى أو الحصر النظيفة أو البسط الغالية وقد تقام فوقها مبان ضخمة ذات جدران وسقوف وقباب ومآذن وقد لا يقام من ذلك شئ فلا يغير ذلك من الأمر شيئاً ويظل المسجد البسيط العادي مكاناً مقدساً واضح الشخصية لا يقل في هيبته أو مكانته عن أضخم المساجد. [٢،٣،٤]

ونحن في بحثنا عن المعايير التصميمية الأساسية لعمارة المسجد نعتمد في ذلك على المنهج الإسلامي النابع من آيات القرآن الكريم أو أحاديث الرسول ﷺ إلى جانب توجيهات علماء المسلمين الأوائل أو المعاصرين، ولقد فصّلنا هذه المعايير كما يلي:

أُسس اختيار مكان المسجد

المسجد هو المكان الذي نسجد فيه، فكل بقعه في الأرض بالنسبة للمسلمين مسجد وهذا مما خص الله به رسوله ﷺ والذي قال: "وجُعلت لى الأرض مسجداً وترابها طهوراً" ونحن نتيمم من تراب الأرض ونصلى على الأرض.

أما المسجد شرعاً فهو المكان المخصص للصلاة، فإذا تم تخصيص مكاناً للمسجد فيجب ألاّ يزاول فيه أي نشاط إلا الصلاة وعبادة الله وأن يمنع فيه غير ذلك من حركات الحياة الدنيوية، وبالنظر إلى المسجد الحرام نجد أنه أول

بيت وضع للعبـــادة، قـــل تعـــالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين﴾،[١، آل عمـران - آيـة ٩٦] فالله سبحانه وتعالى أمر الملائكة أن تقيم البيت للناس قبل أن يخلق الناس ليصير مثابة لهـــم مـــن أول آدم عليـــه الســـلام، وعندما جاء إبراهيم عليه السلام أرشده لمكان البيت فرفع مع إسماعيل عليـــه الســـلام قواعـــد البيـــت.

أما بالنسبة لاختيار مكان باقي المساجد في الأرض فقد تركه الله للبشر واضعا لهم بعـــض القيـــود علـــى هـــذا الاختيـــار منها أن يراعى طهارة المكان الحسية والمعنوية أيضا فيجب ألا تبنى المساجد على القبور وأن توضـــع فيـــها قبـــور حيـــث ورد النهي الصريح من الرسول الكريم عن فعل ذلك، كما يجب ألا تبـــنى علـــى أرض مغتصبـــة أو بغـــير إذن صاحبـــها فالله طيب لا يقبل إلا طيبا. [٢،٤،٥] ولنا في فعل رسولنا الكريم الأسوة الحســـنة فحينمـــا بزكـــت ناقتـــه عنـــد موضـــع مسجده بالمدينة المنورة وكان حينئذ مربدا للتمر لغلامين يتيمـــين مـــن الأنصـــار وكانـــا في حجـــر أســـعد بـــن زرارة ثامنهما رسول الله ﷺ فيه، فقالا: "بل نهبه لك يا رسول الله" فأبى حتى ابتاعـــه منـــهما بعشـــرة دنانـــير.

التوجه للقبلة كأساس لتصميم المساجد

يقـــول الله ســـبحانه وتعـــالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾. [١، سورة البقرة _ آية ٤٤] وقد روى ابن جريـــج عـــن عطـــاء بـــن أبي ربـــاح عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "البيت قبلـــة لأهـــل المســـجد، والمســـجد قبلـــة لأهـــل الحـــرم، والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمتي"،[٦] والشـــاهد مـــن الحديـــث أن البيـــت أي الكعبـــة المكرمـــة هي قبلة لأهل المسجد وذلك لأن استقبال عين الكعبة - لا جهتها - شرط لصحـــة الصـــلاة داخـــل المســـجد الحـــرام وذلك لمن يراها، ومن هنا نجد أن الشكل الدائري أو المثمن بحيث تكون الكعبة المكرمـــة في مركـــز هـــذا الشـــكل، هـــو الشكل الأمثل للمسقط الأفقي للمسجد الحرام حيث يتيح للمصلين استقبال عـــين الكعبـــة بســـهولة ويســـر، كمـــا أن الشكل الدائري أو المثمن يتناسب مع حركة الطائفين في دوائر متتاليـــة حـــول الكعبـــة. فالشـــكل الدائـــري أو المثمـــن ينبع من مضمون الوظيفة الرئيسية للمسجد الحرام سواء كان ذلـــك في الصـــلاة أو الطـــواف وهـــي خاصيـــة وشـــكل يجب أن يتميز به شكل المسقط الأفقي للمسجد دون ســـائر مســـاجد الأرض (شـــكل ١).

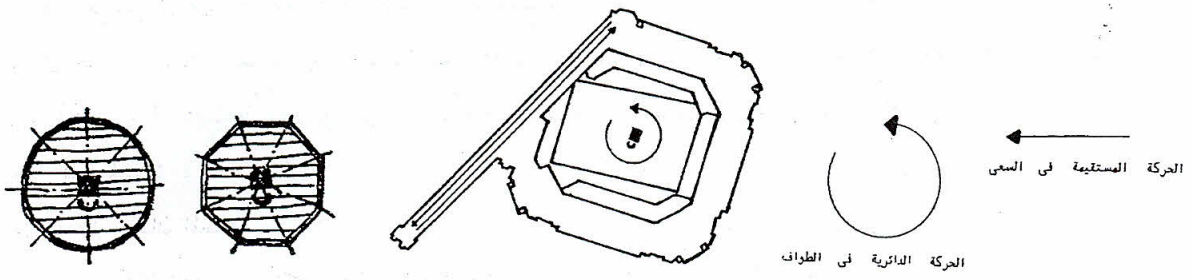

الحركات الأساسية داخل الحرم

الشكل الدائري والمثمن للمسجد الحرام

شكل ١: الحركة والشكل بالمسجد الحرام.

أما بالنسبة للمساجد الأخرى، حتى ما كان منها داخل مكة، فإن اتجاه صفوف المصلين فيها تكون موازية لحائط القبلة والذي يتعامد بدوره على جهة مكة حيث المسجد الحرم، لذلك فإن المسقط الأفقي المستطيل حيث حائط القبلة يمثله الضلع الأكبر لهذا المستطيل هو أنسب المساقط للمسجد في أي بقعه من بقاع الأرض وخاصة انه يتيح استطالة الصفوف الأولى للمصلين وذلك نظرا لأفضلية الصفوف الأولى عن التي تليها في الثواب . [٥،٧]

تصميم حائط القبلة والمحراب

القبلة هي صدر المسجد وجداره المتجه نحو مكة المكرمة، ويتضح المنهج الإسلامي من فعل الرسول ﷺ عند بنائه لمسجده بالمدينة المنورة، حيث إن بعض الروايات أوضحت أنه قبل تحويل القبلة كان حائط القبلة من جذوع النخل وباقي حوائط المسجد من الطوب اللبن أما بعد تحويل القبلة جهة مكة المكرمة فقد أصبح حائط القبلة من الحجر المنضود دون سائر حوائط المسجد المبنية بالطوب اللبن وعلى ذلك يمكن أن نستلهم مما سبق أن الأساس المعماري لمعرفة اتجاه القبلة يكون بتمييز حائط القبلة بمادة معمارية مخالفة لباقي حوائط المسجد كالخشب أو الحجر أو الرخام أو الطوب الظاهر حسب الخامات والامكانات المتاحة. [٧]

أما أول استعمال للمحراب المجوف بالمسجد النبوي فكان عام ٩٢هـ في عمارة عمر بن عبد العزيز، وقد كره بعض الفقهاء استعمال المحراب المجوف بالمساجد حيث أنه فيه تشبه بأهل الكتاب، فقد روى البيهقي من حديث ابن عمر قال "إنما كانت للكنائس فلا تشبهوا بأهل الكتاب" أخرجه البزار.

وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: [٨] "جزم السيوطي في كتابه *إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب* أن المحراب في المسجد بدعه، وتبعه الشيخ على القاري في "مرقاة المفاتيح".

كما أورد الزركشي [٩] كلاما كثيرا عن كراهية بعض السلف اتخاذ المحاريب في المساجد.

ويرى البعض أنه لا بأس باتخاذ المحراب بشرط عدم التشبه بمحاريب الكنائس والمعابد الأخرى كما يجب البعد عن زخرفته بما يشغل الإمام والمصلين، كما يفضل أن يصمم المحراب بحيث يتسع لمصلى الإمام وبذلك نوفر صفا من صفوف المصلين بالمسجد كأن يشغلها الإمام وحده أثناء الصلاة. [٧]

كراهية المنابر الطويلة

جاء في سنن البيهقي ما رواه بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: "إن تميما الداري قال لرسول الله ﷺ لما أسن وأثقل" ألا نتخذ لك منبرا يحمل أو يجمع عظامك أو "كلمة تشبهها" فوافقه الرسول على ذلك فصنع "تميم" المنبر من خشب من طرفاء الغابة وهو خشب قوى الاحتمال طويل العمر وكان عبارة عن درجتين خشبيتين ودرجة ثالثة للجلوس، وبذلك جاء المنبر النبوي بسيطا في شكله متينا في صناعته منطقيا في وظيفته. [٥]

أما بالنسبة للمنابر الطويلة والتي ظهرت بعد ذلك في أغلب المساجد فهي تشغل حيزا كبيرا من المسجد مما يؤدى إلى قطع الصفوف الأولى للمصلين إلى كتلتين عن يمينها ويسارها إلى جانب الإسراف والتبذير في زخرفتها مما يزيد من تكاليف صناعتها وشغل المصلين بهذه الزخارف، [٣،٤،٥] ومن جهة أخرى فانه كلما قل ارتفاع المنبر كلما زاد عدد المصلين الذين يشاهدون الخطيب مما يزيد من تفاعل وارتباط الإمام بالمأمومين والعكس، لذلك

فبعد الدراسة والتحليل، (شكل ٢) فانه ينصح باستخدام المنابر التي لا يتجاوز ارتفاع البسطة التي يقف عليها الخطيب عن مستوى خط البصر إلى ما يعادل حوالي ٨٠ سم.

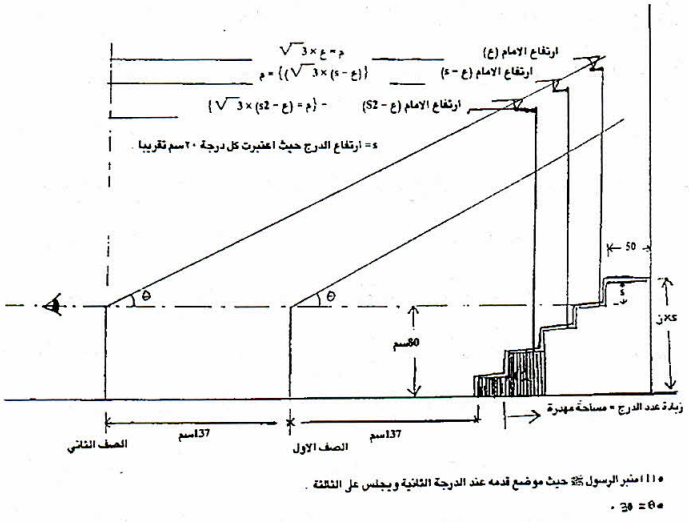

شكل ٢: دراسة بصرية لارتباط الخطيب بالمأمومين.

وفي بعض المساجد المعاصرة فقد وضعت عدة حلول يمكن الأخذ بما يصلح منها حسب طبيعة التصميم ومتطلباته منها:

أ – عمل منبر ذي سلم بدرج تبادلي للتقليل من بروزه عن حائط القبلة إلى النصف.

ب – إدخال سلم المنبر خلف محراب القبلة في التصميم المعماري في وحدة تجمع بين غرفة المصاحف وخلوة الإمام.

جـ– عمل سلم متحرك يمكن أن يطوى أو يتحرك على عجل بحيث يمكن وضعه وقت الخطبة وتحريكه وقت الصلاة.

يفضل فراغ معماري واحد بدون أعمدة لقاعة الصلاة

روى الحاكم عن أنس رضى الله عنه قال: "كنا ننهى عن الصلاة بين السواري ونطرد عنها" وسبب كراهية الصلاة بين السواري أنها مصلى الجن المؤمنين، لذلك يفضل تقليل عدد الأعمدة في قاعة الصلاة حتى لا تقطع صفوف المصلين أو تعوق رؤية الخطيب على المنبر، وفي حالة توافر الإمكانات المادية فيستحسن وجود فراغ معماري واحد لقاعة الصلاة بدون أعمدة. [٢،٣،٤،٥]

ويرى البعض الآخر أن السواري لها مميزات معمارية هامة، حيث أنها تكون للمصلين المنفردين بمثابة السترة تمنع الآخرين من المرور بين يديه في الصلاة، كما أنها تساعد على التقليل من نفقات الإنشاء في حالة وجودها، كما أنه يمكن استعمالها كرفوف للمصاحف، كما أنها تساعد على راحة المصلين الذين ينتظرون الصلاة وذلك بالاتكاء عليها.

ونحن نرى أن الرأي النهائي لمسألة استخدام السواري من عدمه يرجع إلى الظروف والامكانات المادية التي تم إنشاء المسجد فيها فحيثما توافرت الإمكانات المادية فيمكن إلغاء السواري تماماً من قاعات الصلاة والعكس صحيح.

كراهية الزخارف والكتابة على حوائط المسجد

للعلماء في ذلك نظرتان، كلتاهما نظرة مخلصة لدين الله. فالرأي الأول يريد أن تظل للمساجد بساطتها وفطريتها فيرى ألا يشغل الموجود في المسجد بأي منظر آخر يُشغله عن الخشوع، ويستند أيضاً إلى بعض الأحاديث الشريفة منها: [٢،٤،٥،١٠]

- ما أمرت بتشييد المساجد "أي رفع البناء بالشيد والجص، وقال ابن عباس راوي الحديث: "لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى" رواه أبو داود وسنده صحيح، وليس معنى الحديث عدم الاهتمام بمتانة البناء بل المراد به البساطة وعدم الزخرفة.
- "من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد" رواه أبو داود وسنده صحيح.
- كما روى البخاري في صحيحه أن عمر رضى الله عنه قال: " أكن الناس من المطر وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس".

أما بالنسبة للكتابة على جدران المسجد، فقد كره أصحاب المذاهب الأربعة الكتابة على جدران وسقف المسجد حتى لو كان المكتوب شيئاً من القرآن. لأن ذلك فيه شغل للمصلى عن ذكر الله كما أن فيه إضاعة لأموال المسلمين.

أما الرأي الثاني فيرى أنه لا يصح أن يكون بيت الله، وهو منسوب إليه، دون بيوت الناس عناية واهتماماً وتشييداً وزخرفة ويستندون في ذلك إلى أن الزخرفة ليست لوناً من الترف إذا كان يتسع له مال المسلمين لأنها ترفق عواطف الناس كما أن "الله جميل يحب الجمال" وأن الفن الجمالي له وظيفة في غذاء ملكات النفس وقبل أن يمتن الله علينا بأكل الثمرة قال: ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾ . [١، الأنعام ضمن آية ٩٩]

ويرى الشيخ الشعراوي رحمه الله [١٠]: "أن ذلك أمر اعتباري بمعنى أنه إذا كنا في بيئات لها مظاهر من الكنائس والمعابد فلا يصح أن تكون بيوت عبادتنا وهي بيوت الله دونها إلا فيما يصطدم مع قاعدة من قواعد الدين كوجود التصاوير والتماثيل ... والعناية بالشيء لا يعني فسوق زخرفته فمن الممكن أن تكون عناية تتمثل في وقار الزخارف وفي وقار التجميل وورع الفن".

ونحن نرى أن عملية بناء المساجد ترتبط ارتباطاً مباشراً بالمجتمع أو البيئة التي تبنى فيها، ففي البيئات التي تتوفر فيها الإمكانات المادية فلا مانع من تشييد المساجد والاهتمام بتشطيبها ولكن دون بذخ أو خروج عن قواعد الدين، ويمكن ترجمة ذلك معمارياً بأن يكون التركيز على اللمسات الجمالية أو الزخرفة بواجهات المسجد الخارجية ومداخله. أما داخل قاعة الصلاة فيفضل البساطة التي تساعد المصلين على الخشوع لقوله تعالى ﴿قد أفلح المؤمنون* الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾. [١، المؤمنون-آية ١-٢] ولكن لا مانع من استخدام مواد تشطيب

جيدة، كتجليد الأجزاء السفلية من الحوائط بالخشب مثـــلاً في البيئـــات البـــاردة أو الرخـــام أو القيشـــاني في البيئـــات الحارة وكل ذلك دون بهرجة في الألـــوان أو الزخـــارف.

أما في البيئات الفقيرة، حيث تجمع التبرعات المادية لبناء المساجد، فلا يصـــح أن يخـــرج بنـــاء المســـجد عـــن عنـــاصره الأساسية حيث إن الظروف المادية لا تسمح بذلك، ولكن يجب أن يراعـــى الإنفـــاق في بنـــاء المســـجد مـــع اســـتخدام مواد البيئة المتوفرة محلياً بأبسط طرق الإنشاء مما يقلل التكـــاليف ومـــن هنـــا يتجلـــى أهميـــة ارتبـــاط المســـجد بالبيئـــة وبالمجتمع المحلى الذي يُبنى فيه (شـــكل ٣).

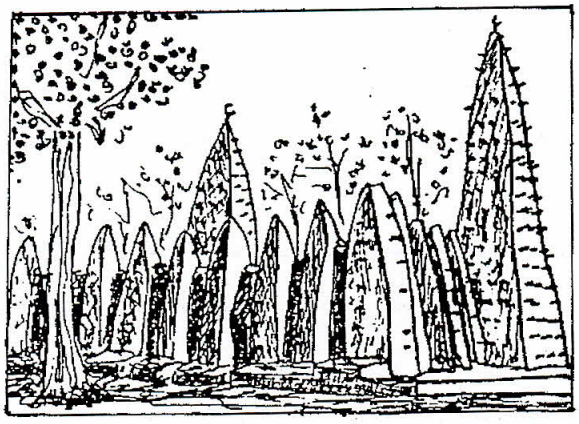

شكل ٣: ارتباط المسجد بالبيئة. (المسجد الكبير في بويو ديلاسو بفولتا العليا).

المقاصير والقواطيع

جاء في أحكام المساجد للزركشي[٩] أن اتخاذ المقاصير في المســـاجد لم يعـــهد في الصـــدر الأول، وقـــال أبـــو العبـــاس القرطبي في شرح "مسلم": "لا يجوز اتخاذها ولا يصلـــي فيـــها لتفريقـــها الصفـــوف وحيلولتـــها مـــن التمكـــن مـــن المشاهدة" وهذا الرأي مبنى على أن المقصورة تقطع الصفوف وفيه ما سبق في المنـــبر، كمـــا قـــال الإمـــام ابـــن الحـــاج: "المقاصير والدرابزين (القواطيع) من البدع المحدثة، وقد ترتب على ذلك جملـــة مفاســـد" أولهمـــا: أن الموضـــع وقـــف للصلاة وما فعل فيه لغيرها غصب لمواضع صلاة المســـلمين، وثانيـــهما: أن فيـــه تقطيـــع الصفـــوف وذلـــك خـــلاف السنة". وروي أن الحسن البصري وبكراً المزني كانا لا يصليـــان فيـــها لأنهـــا أحدثـــت بعـــد النـــبي ﷺ في المســـاجد، والمسجد مطلق لجميع النـــاس.

أما بالنسبة لمقاصير النساء فيرى بعض الفقهاء أنها مستحسنه لأنها تحمـــى النســـاء مـــن أنظـــار الرجـــال، وعلـــى ذلـــك فيمكن تحديد أماكن لصلاة النساء إذا كن يصلين مع الرجال في نفس قاعة الصلاة بمقاصـــير أو قواطيـــع بحيـــث تكـــون في آخر القاعة حتى لا تقطع الصفوف، ويفضل فصلهن في دور مسروق يتصل فراغيـــاً بقاعـــة صـــلاة الرجـــال.

المآذن

لم تستخدم المآذن في صدر الإسلام حيث لم تظهر في عهد النـــبي ﷺ ولا في عـــهد الخلفـــاء الراشـــدين وتم إدخالهـــا في عهد عمر بن عبد العزيز. حيث تم بناء أربع مآذن في كل ركن من أركـــان المســـجد مئذنـــة وذلـــك ســـنة ٩٢هـــ، ويقول الشيخ ناصر الدين الألباني: "إن المنارة المعروفة اليوم ليست من السنة في شـــئ، غـــير أن المعـــنى المقصـــود منـــها

وهو التبليغ أمر مشروع بلا ريب فإذا كان التبليغ لا يحصل إلا بها فهي مشروعه لما تقرر في علم الأصول أن ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب، غير أن من رأيي أن وجود الآلات المكبرة للصوت تغني عن اتخاذ المئذنة كأداة للتبليغ لا سيما وهي تكلف الألوف المؤلفة من الليرات، فبناؤها والحالة هذه مع كونه بدعه ووجود ما يغني عنه غير مشروع لما فيه من إسراف وتضييع للمال، ومما يدل دلاله قاطعة على أنها صارت اليوم عديمة الفائدة أن المؤذنين لا يصعدون إليها البتة مستغنين عنها بمكبرات الصوت". [٨]

أما الرأي الآخر فيرى أنه لا مانع من إقامة المآذن للمساجد حيث أنها تؤكد المفهوم الإسلامي من حيث أنها تساعد مرتادي المسجد على الاستدلال على موقع المسجد بعد أن أصبحت المكبرات الصوتية لا تعطى مؤشرا يساعد على الاستدلال على المسجد كما أنها رمز تعارفت عليه الأجيال وليس في استخدامها ما ينافي المنهج الإسلامي إذا روعي في تصميمها البساطة والاقتصاد.

ونحن نرى أنه في حالة المساجد الكبرى الجامعة مع توفر الإمكانات المادية، فإنه لا مانع من اتخاذ المآذن مع محاولة عدم قصر وجودها على الشكل الجمالي أو الرمزي فقط بل يجب أن يكون لها وظيفة أيضا كأن تكتسب صفة إنشائية تساعد على حمل سقف المسجد مثلا، أو أن يستخدم السلم الداخلي بها للصعود إلى طوابق المبنى المختلفة إذا كان المسجد ضمن مجموعة معمارية كمركز إسلامي متعدد الطوابق.

ومن الحلول البسيطة التي استعملت بالفعل قديما وحديثا أن يتم تصميم المئذنة بشكل رمزي بسيط بأن تكون على هيئة شرفة تخرج ببروز صغير من سطح المسجد كما في زاوية "عبد الرحمن كتخذا "بمنطقة المغربلين بالقاهرة القديمة" (شكل ٤)، وقد تم اقتباس هذه الفكرة في أحد مساجد العصر الحديث بالجيزة وهو مسجد "أحمد زكي باشا". [١١]

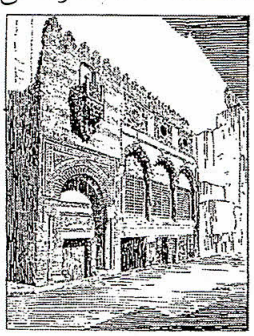

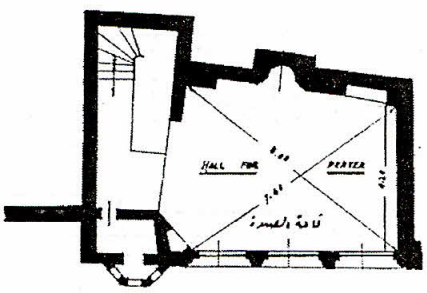

شكل ٤: مسجد زاوية عبد الرحمن كتخذا بالمغربلين.

كراهية غرس الأشجار ووجود البرك في صحن المسجد

كره الفقهاء غرس الشجر في صحون المساجد خوفا مما ينجم من المشكلات بسبب ثمرها وبسبب الطيور التي تسكن الشجر وتكون سببا من أسباب عدم نظافة الصحن، وقد أرادوا أن يتحاشوا الخلاف على من يجوز له الانتفاع بالثمر، وأرادوا كذلك أن يوصدوا الباب أمام أي استغلال زراعي لصحون المساجد.

وقد جاء في حواشي الدر أن العلامة ابن حاج حنفي ألف رسالة رد فيها على من جوز غرس الشجر في المسجد قال فيها: "لأن فيه شغل ما أعد للصلاة ونحوها وإن كان المسجد واسعا أو كان في الغرس نفع بثمرة فلا يجوز إبقاؤه لقوله ﷺ: "ليس لعرق ظالم حق" لأن الظلم في وضع الشيء في غير محله وغرس الشجر في المسجد ينطبق عليه ذلك".

وما ينطبق على غرس الأشجار ينطبق على وجود البرك لنفس الأسباب السابقة، لذلك نرى أنه في حالة وجود صحن بالمسجد فيجب الاهتمام بتبليط أرضياته كما يمكن عمل مظلات متحركة من القماش أو أية مادة أخرى يمكن أن تستخدم في حمايته من الأمطار ومن أشعة الشمس الحارقة حتى يمكن استعماله للصلاة عند امتلاء المسجد بالمصلين (كما في المسجد النبوي الآن). [١٢،٢]

الميضأة ودورات المياه وخزائن الأحذية

لا مانع من أن يلحق بالمسجد دورات مياه وأماكن للوضوء حيث إن الطهارة من الحدثين الأكبر والأصغر وكذلك الوضوء للصلاة شرط من شروط صحتها ولا مانع إذا سمحت المساحة والامكانات المادية من إضافة مراوش لاستعمال المعتكفين أو عابري السبيل الغرباء عن البلد، وذلك لأن الاعتكاف بالمساجد خاصة في العشر الأواخر من رمضان سنة مؤكدة. ولكن يفضل أن يوجد مبنى أو مكان منفصل لبيوت الخلاء وأماكن الوضوء حفاظا على طهارة المسجد وقاعات الصلاة، أما في حالة تعذر أيجاد مبنى منفصل فيراعى أن يكون لبيوت الخلاء مدخل خاص منفصل عن مدخل المسجد كما يفضل ألا تكون دورات المياه في اتجاه القبلة، أما بالنسبة لأماكن الوضوء، فيجب الوصول إليها بسهولة من بيوت الخلاء مع وجود حاجز يفصل الجزء غير الطاهر بدورات المياه عن الجزء الطاهر لأماكن الوضوء والتي يفضل أن تكون مواجهة للقبلة لتحقيق إحدى سنن الوضوء بالنسبة للمتوضئ ويستحسن توفير كرسي ثابت من الرخام أو القيشاني أو الموزايكو بحيث يكون موضوعا أمام كل صنبور بحيث يجلس عليه المتوضئ مما ييسر عليه عملية الوضوء (شكل ٥). كما يفضل أن يخصص مكان بالقرب من مدخل المسجد يوضع به خزائن خاصة للأحذية. [٣،٤،٥،٧،١٠]

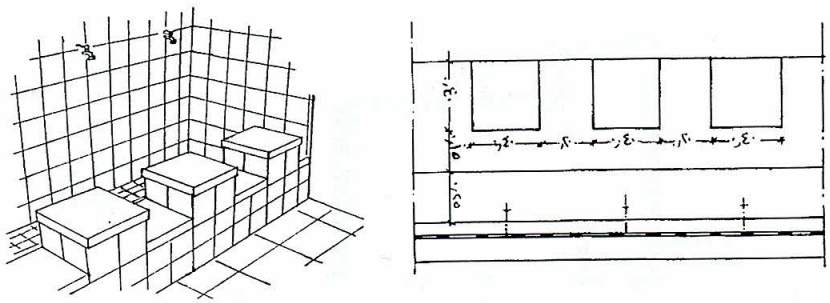

شكل ٥: مراعاة توفير كراسي ثابتة أمام الصنابير لتيسير الوضوء معايير وتفاصيل أخرى متنوعة.

توجد بعض المعايير والتفاصيل الهامة والتي يجب أن يراعيها المصمم عند تصميمه للمسجد، حيث أنها تيسر على المصلين وتجعل المسجد يؤدى وظيفته على أكمل وجه، ومن هذه المعايير ما يلي:

- يفضل أن يكون المسجد بالدور الأرضي في حالة وجوده ضمن مجموعة معمارية أو مركز إسلامي، كما يجب ألا يرتفع منسوبة كثيرا عن الأرض مما يجعل المصلين يصعدون إليه بدرج مرتفع (شكل٦)، فالأصل هو التيسير على المصلين دخول المسجد وخاصة أن فيهم كبار السن والنساء وربما الأطفال أيضا، بل ويفضل وجود منحدرات صغيرة بالمداخل مما ييسر على كبار السن والمعوقين من دخول المسجد.
- يراعى في تصميم مداخل المسجد أن تكون بالحوائط الخلفية أو الجانبية للمسجد مما يسهل من استكمال الصفوف الأمامية دون أن يتخطى بعض المصلين الرقاب ، كما يفضل أن تكون المداخل كمرحلة فاصلة بين

الشارع الخارجي بضجيجه وقاعات الصلاة وهذا ما نراه في الكثير من المساجد القديمة كمسجد السلطان حسن بالقاهرة [١١] حيث أن مدخل المسجد منكسر على نفسه أكثر من مره مما يجعله كمنطقة فاصلة يتهيأ فيها المصلون نفسيا لأداء الصلاة والانتقال من زحام وضجيج الشارع الخارجي إلى هدوء وخشوع قاعات الصلاة بالداخل، شكل (٧).

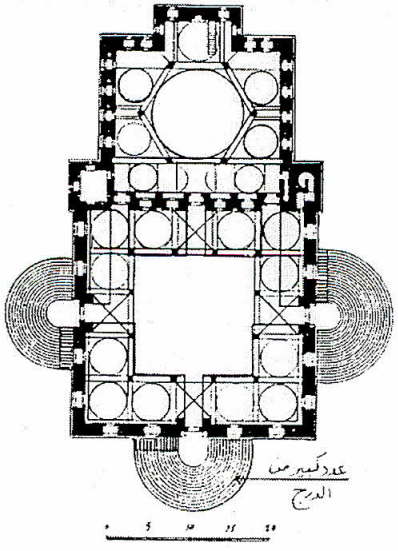

شكل ٦: مسجد الملكة صفية بالدرب الأحمر. (لاحظ عدد الدرجات أمام المداخل).

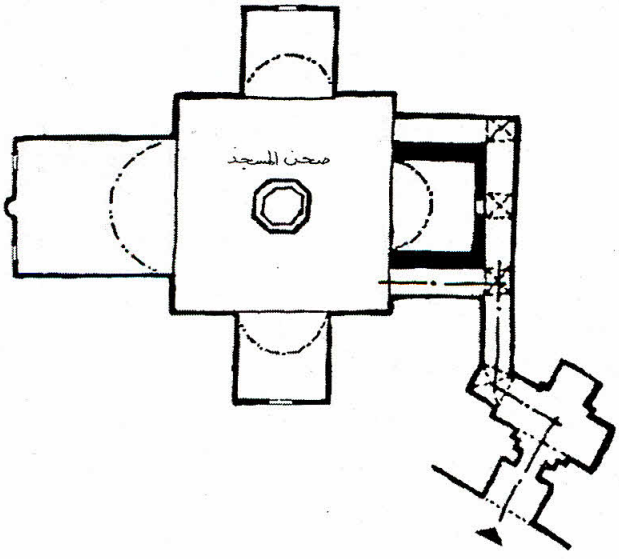

شكل ٧: المدخل المنكسر في مسجد ومدرسة السلطان حسن.

- مراعاة توفير الإضاءة والتهوية الطبيعية بقدر الإمكان عن طريق استخدام صحن داخلي مكشوف أو سقف ذو نوافذ علوية أو النوافذ الموضوعة في أماكن مدروسة والتي يفضل أن تكون أعلى من مستوى بصر المصلين حتى لا ينشغلوا بما في خارج المسجد.
- يجب أن يراعي المصمم النسب والأبعاد الداخلية لقاعات الصلاة وعلاقتها بالارتفاع حتى يتم توفير تصميم صوتي جيد مما يساعد على سماع خطبة الجمعة أو دروس العلماء بسهولة ويسر ودون الاعتماد بقدر الإمكان على مكبرات الصوت الحديثة وهذا ما كان يتم مراعاته في تصميم المساجد القديمة والتي كانت رغم كبر مساحتها مصممة بنسب وأبعاد تحقق انتقال صوت الخطيب أو العالم بسهولة ويسر داخل أرجاء المسجد.

الخلاصة

مما سبق يتضح لنا أن الأصل في عمارة المسجد هو عدم شغل المصلى عن العبادة أو ذكر الله وتهيئة الجو المناسب لذلك، كما يتضح أنه لا مانع من استخدام تقنيات العصر الداخلة في نطاق الإمكانات المادية للمجتمعات المسلمة ما دامت هذه التقنيات تسهل من أداء المسجد لوظيفته ولا تتعارض مع تعاليم الدين، وليتذكر المصممون وعمار المساجد قول رسولنا الكريم ﷺ: "من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" (رواه

الطبراني)، و المراد هنا من أدخل في المساجد بدعة تتنافى مع روح المساجد وهي البساطة أو أدخل على المسجد شيئا يشغل الناس عن الصلاة.

المراجع

[١] القرآن الكريم

[٢] المعهد العربي لانماء المدن. *المساجد في المدن العربية*، الرياض: ١٩٩٠

[٣] مؤنس، حسين. *المساجد*. سلسلة عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب-الكويت، الكويت: ١٩٨١

[٤] وزيري، يحيى. *التعمير في القرآن والسنة*. المؤلف ، القاهرة: ١٩٩٢

[٥] العقبي، عبد الحق بشير، خطيري، إبراهيم محمد. *استنباط المنهج الإسلامي لبناء المسجد*. بحث بالحلقة الدراسية الرابعة لمنظمة العواصم والمدن الإسلامية - المغرب (١٩٩١)، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، جدة: ١٩٩٢

[٦] الإمام القرطبي. *الجامع لاحكام القرآن*

[٧] وافي، عبد المجيد. *القبلة والمحراب*. مجلة منبر الإسلام (عدد٢)، القاهرة: ١٩٧٤

[٨] الألباني، محمد ناصر الدين. *تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد*

[٩] الزركشي، محمد عبد الله. *إعلام الساجد بأحكام المساجد*

[١٠] وزيري، يحيى. *خواطر الشيخ الشعراوي حول عمران المجتمع الإسلامي*. مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة: ١٩٩٠

[١١] سامح، كمال الدين. *العمارة الإسلامية في مصر*. مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة: ١٩٧٠

[١٢] مصطفى، صالح لمعي. *المدينة المنورة، تطورها العمراني و تراثها المعماري*. دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت: ١٩٨١

The influence of the Islamic principles on Mosques Architecture

Yehia Waziri

Islamic Art House for Architecture

Cairo, Egypt

Abstract: This paper discusses the Islamic principles and concepts and the way these can be translated to mosques architecture. Starting with issues related to the site itself, and up to the characteristics of the praying hall, the walls and their decoration, the Minbar, the minaret and the supporting services, the author discusses the best way to design and build these elements, based on Koranic laws, Sunnah teaching and the opinions of Islamic scholars. All with the aim of producing mosques that are in accordance with the Islamic teaching and principles.